الإسلام في البلقان

وصل الإسلام إلى البلقان في وقت مبكر نسبياً وذلك في القرن الرابع الهجري، وكان أول من وصل إلى المنطقة من المسلمين قبائل البوشناق الذي جاؤوا من منطقة البُلغار، وكان أهلها قد أسلموا على يد الوفد الذي أرسله إليهم الخليفة العباسي المقتدر بالله -كما سبق أن ذكرنا-.

وصلت قبائل البوشناق إلى البلقان وهي حديثة العهد بالإسلام لم تُمارسه بشكل عملي، ولم تدعُ له، ولم تتحمس له، كما لم يكن الارتباط فيما بينها على أساسه، لذا يمكن أن نقول: إنها كانت تنتمي للإسلام انتماءً فقط، لذا لم يبدُ أثره على أفرادها وتجمّعاتها، بل لم يلاحظ أثره المؤرخون فما انتبهوا إلى إسلام هذه القبائل، وإنما عدّوها كبقية القبائل الوثنية الأخرى أو النصرانية التي وجدت في هذه المرحلة.

ووصل أفراد مسلمون إلى البلقان قادمين من المغرب ومن الأندلس كانوا تجاراً لم ينصرفوا إلى الدعوة، ولقلة عددهم لم يكونوا موضع اهتمام، كما لم يتركوا أثراً بارزاً في تلك البيئة التي تتغلغل فيها في تلك الآونة النصرانية الممزوجة بالوثنية الأمر الذي

لم يكن فيه جدة كما لم يكن لكلمة الدين ذلك الوقع كما لو كانت مبادئ الدين السامية ظاهرة على الأفراد.

ثم وصل العثمانيون في هذه المرحلة وذلك قبل فتح القسطنطينية ودخول العثمانيين لها، ولكن لم يكن ذلك الوصول سوى وجود عسكري صرف وانتصار في المعارك، ودحر للأعداء، أو وجود سياسي بحت كعقد معاهدات وإجراء تحالفات وتوقيع مصالحات لذا لم يكن للدعوة أثر ولا لتغيّر المجتمع ظهور بل وحتى لم يُشجّع قبائل البوشناق لإظهار الإسلام والمناداة به. وبقيت الارتباطات على أسس عنصرية والمصالح حسب المصالح السياسية.

ولما كان النفوذ فيما مضى للدولة البيزنطية والدولة لا يزال لها وجود في القسطنطينية لذا فالخوف منها لا يزال قائماً والارتباط بها لا يزال موجوداً في النفوس. ولما كانت بيزنطة تدين بالأرثوذكسية لذا فإن اعتناق غيرها أمر يُثير الرعب بل إن الكاثوليكية منتشرة في شمال البلقان ولولا وجود دول قائمة تدين بها لما أقدم عليها أحد، مع العلم أن للبابا مكانته وللفاتيكان أثرها ومع ذلك فالهيبة ضعيفة. فكيف وأن بيزنطة حاجز بين المسلمين والبلقان.

وتداعت أركان بيزنطة، وانهارت القسطنطينية واستسلمت للمسلمين وفتحت أبوابها لهم، وامّحت بيزنطة فلم يعد هناك خوف منها، كما لم يعد هناك حامٍ للأرثوذكسية، وإن احتلت موسكو هذا الاسم إلا أن موسكو لا تزال ضعيفة وسلطانها قليل النفوذ.

وفي الوقت نفسه فإن الإسلام أصبح له ظهر يستند عليه والدولة العثمانية التي تحميه هي القاهرة لغيرها، وهي المسيطرة في المنطقة، فانفتحت القلوب للإسلام، وانطلقت العقول تبحث وتسأل، وتُقارن وتُميز فاتجهت بفطرتها نحوه وقد رأت أنه ينسجم مع تلك الفطرة، ويتفق مع العقل السليم.

انتبهت قبائل البوشناق إلى نفسها، وعرفت أن الإسلام هو الدين الذي تنتمي إليه، ووجدت فيه ما تصبو إليه النفس، ورأت فيه ضالتها، فتمسّكت به والتزمت، وأعلنت للأشهاد أنها مسلمة، وحافظت على عقيدتها حتى عُرفت بها، وغدت غالبيتها مسلمة بل وأخذت تدعو إلى ذلك حسب طاقاتها وعلمها. بل اقترنت كلمة البوشناق بالإسلام في منطقة البلقان.

ورأت القبائل الألبرية (الألبان) النصرانية اسماً، والتي تسمى

كنيستها بالبوڤوميلية، والتي تُحافظ على بعض الأصول النصرانية قبل أن يدخل التحريف إليها، ووجدت أن هذه الأصول تلتقي مع الإسلام فأسلمت، وأخذت تتردد فيما كان يحاول الكاثوليك إدخاله إلى النصرانية وبطلانه ورفضها ذلك، وإصرار الكاثوليك على ما عزموا عليه، وإقحام ما رأته عقولهم القاصرة في الدين.

ومن جانب ثانٍ فقد عمل الأرثوذكس ما عمله الكاثوليك نفسه، إذ جعلوا ما اعتادوا عليه وما تعارفوا عليه من الدين رغم أنها أمور ورثوها من الوثنية التي كانوا يدينون بها قبل أن يدخلوا في النصرانية. وهكذا غدت النصرانية التي يدين بها النصارى وثنية تحمل اسم النصرانية. ولما رفض البوڤوميل ما كان يراد فرضه عليهم لذا فقد تعرّضوا إلى اضطهاد الكاثوليك في الشمال وإلى اضطهاد الأرثوذكس في الجنوب، وبقوا محافظين على ما نشؤوا عليه وما ورثوه، فلما جاء الإسلام وجدوا ما ورثوه موافقاً لتعاليم الإسلام فأقبلوا نحو الإسلام، وأصبحت أغلبيتهم من أتباعه، والتزموا به وبذلوا جهدهم للتمسّك به والمحافظة عليه، ومساعدة إخوانهم من أبنائه.

وإضافة إلى هاتين المجموعتين الأساسيتين (البوشناق والألبان)

فقد اعتنق الإسلام أعداد ليست كثيرةً من مختلف العناصر الأخرى سواء أكانوا من الصرب أم من الكروات أم من اليونانيين أم من بقية المجموعات.

كما أقام في البلقان مجموعات من الأتراك المسلمين في مختلف الأقاليم بحكم العمل سواء أكان في الإدارة أم في بقية المهن، وربما صفا الجو لبعضهم فأقام.

وهكذا فالمسلمون في البلقان ينتمون بصفة رئيسية إلى البوشناق في البوسنة وإلى الألبان في ألبانيا، وهم في هاتين الدولتين يشكلون غالبية السكان، ثم إلى التركية، ثم إلى باقي المجموعات البشرية بنسبٍ قليلةٍ تتفاوت بين مجموعةٍ وأخرى.

ولما كان أكثر سكان كوسوفا (قوصوى) من الألبان، لذا كان لابد من الحديث عن هذه المجموعة.